خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٧/١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَـــيْهِمْ وَلا الضَّـــالِّينَ﴾. (آمين).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْـــرٌ لَكُـــمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـــارَةِ وَاللَّـــهُ خَيْـــرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة ١٠-١٢)

عندما أمر الله بصيام رمضان قال ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾. ولما بدأ رمضان هذه المرة فكّرنا كثيرا بأنها أيام صـــيف طويلة ولا ندري كيف نصوم ثلاثين يوما وسوف نعاني كثيرا، ولكن هذه الأيام المعدودة، كما وصفها الله تعالى، قد انقضت من حيث لا نشعر. فاليوم هو اليوم الخامس والعشرون من رمضان، وقد كتب لي كثيرون بأن هـــذه الأيام قد مرت من دون أن نشعر. وهذا هو الحق. عندما يطلع رمضان يبدو لنا في أول وهلة أنها أيـــام طويلـــة، ولكنها تنقضي من حيث لا نشعر بها.

اليوم هو آخر جمعة من شهر رمضان، حيث بقيت منه خمسة أيام أو أربعة في بعض البلاد، لذا يجب على كلٍّ منا أن يبذل في هذه الأيام الخمسة أو الأربعة الباقية كلَّ ما في وسعه لسَدِّ النقص أو التقصير الحاصل من قِبلنا فيما يتعلق بالاستفادة من هذا الشهر. فادعوا الله تعالى أن يسترنا ويرحمنا ولا يحرمنا بركاتِ رمضان.

وكما قلت آنفا، إنها آخر جمعة في شهر رمضان هذه السنة، وهي تسمى في اصطلاح العامة "جمعة الـــوداع". إن عامة المسلمين يظنون، نظرًا لكونها آخر جمعة في رمضان، أن كل دعاء يدعو به الإنسان في هـــذه الجمعـــة مقبول، وأن حضور هذه الجمعة يعوض عن كل الصلوات والجمعات والعبادات التي لم يؤدها الإنســـان خـــلال السنة كلها. ولكن المؤمن الحقيقي لا يرى ذلك. إنه لتصور باطل تماما، ويرى المسلم الأحمدي والمؤمن الحقيقي أن

مثل هذه التصورات والأفكار إنما هي استهزاء بالدين. إنه لمن منّة الله العظيمة علينا أن وفّقنا للإيمان برسوله الذي بعثه في هذا العصر خادمًا صادقا للنبي صلى الله عليه وسلم، والذي هدانا هديًا مترها عن هذه التصورات والأفكار الخاطئة ودلّنا على تعاليم الإسلام الحقيقية، وأرانا سبل قرب الله تعالى. فقد سئل المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة: هناك عادة عند المسلمين أنهم يصلّون يوم جمعة الوداع أربع ركعات ويسمونها قضاء العمر، وذلك تلافيًا لما تركوه من قبل من صلوات، فهل هناك دليل على ذلك، وما حقيقة هذه الصلاة، وهل هذا جائز. فقال المسيح الموعود عليه السلام: إنه أمرٌ لغو. إن الذي يتعمد ترك الصلاة طول السنة بنِيّة أن يؤدي صلاة قضاء العمر هذه في هذا اليوم فإنه آثم، ولكن الذي يصلي هذه الركعات نادمًا تائبًا بنِيّة أنه لن يترك الصلاة بعدها فلا حرج في أن يؤديها. وقال عليه السلام: إننا نجيب على هذا السؤال كما أجاب سيدنا علي رضي الله عنه.

وقصة جواب سيدنا علي رضي الله عنه الذي يشير إليه هنا المسيح الموعود عليه السلام قد ذكره حضرته كما يلي: ذات مرة كان رجل يصلي في وقت لا تجوز فيه الصلاة، فقال شخص لسيدنا علي رضي الله عنه: إنك خليفة الوقت فلماذا لا تنهاه عن الصلاة فهو يصلي في غير ميعادها. فقال علي إني أخاف أن أصبح تحت طائلة قول الله هذا: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (العلق: ١٠-١١).

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بعد ذكر هذه القصة: إذا كان أحد يصلي هذه الركعات ندمًا وتوبة ليتدارك ما فات، فدعوه يُصَلّي، لماذا تمنعونه، فهو لا يعمل إلا الدعاء في هذه الركعات الأربع. غير أن هذا العمل يدل على قلة همته.

إنما الأعمال بالنيات، ولذلك نجد سيدنا عليًّا رضي الله عنه قد تصرّف بحيطة و لم ينه ذلك المصلي بسبب قول الله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (العلق: ١٠-١١)، ولهذا السبب نفسه قد أصدر المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام هذه الفتوى، غير أنه صرح أيضا أن هذا التصرف يدل على قلة همة صاحبه. فإذا كان هذا يصلي هذه الركعات الأربع بنِيّة أنه يصليها اليوم تائبًا معاهدا على أن يواظب على الصلاة في المستقبل، فلا بأس في أدائها، أما إذا كان يصليها بنِيّة قضاء العمر لا بنِيّة التوبة والإصلاح فهو آثم. فليس في الجماعة أي تصور لقضاء العمر المذكور. لقد آمنا بإمام الزمان وآمنا به على أننا سنتجنب البدعات ونؤثر الدين على الدنيا. فإن تعهّدنا بإيثار الدين فكيف يتسنى لنا ترك الصلوات وكيف يجوز ترك الجمعة. فإنّ تصورَّنا عن "جمعة الوداع" يختلف جذريًا عن التصور السائد، وينبغي أن يكون هو التصور الحقيقي عنها لكل أحمدي، وهو أننا نودّع هذه الجمعة بقلب مثقَل، بل نودّع هذا الشهر وهذه الأيام المباركة بهذا الشعور. ولما كانت الجمعة ذريعة لجمعنا بأعداد كبيرة -وهي الجمعة الأخيرة من رمضان- لذلك فإننا ندعو الله تعالى مجتمعين أن يوفقنا للقيام بحسنات الأيام، بما فيها أيام الجمعة، التي قضيناها من رمضان، وبالبركات التي حظينا بها في هذا الشهر الفضيل، ويوفقنا لاستقبال رمضان القادم بكل كفاءاتنا وقدراتنا. ينبغي أن يكون تفكيرنا على هذا النحو. لا يُوَدَّع حبيبٌ ليقال له بأنك تفارقنا الآن لذلك بدأنا ننساك، ولن تكون لنا أية علاقة بذكرياتك. لا يسع الإنسان نسيان ذكريات أحبائه

الذين يفارقونه للأبد، بل يحاول أن يواصل أعمالهم الخيرية إحياء لذكراهم، أو يبدأ ببعض الأعمال الخيرية بأسمائهم، ويدعو لهم إن كانوا مؤمنين. أما الذين يفترقون عنه مؤقتًا بسبب أشغالهم وانشغالهم فينتقلون من مدينة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر، فلا يمكن للإنسان نسيانهم ألبتة، بل إنه يذكرهم من خلال وسائل التواصل المنتشرة في عصرنا الحاضر كالهاتف وبالرسائل القصيرة عبر الهواتف النقالة أو عن طريق وسائل أخرى مثل السكايب الذي يحاول الناس من خلاله سماع أصوات أحبائهم ورؤية حركاتهم وسكناتهم. فلا نودّع حبيبًا لنا قائلين بأنه ستتلاشى من قلوبنا ذكرياتُك الآن لسنةٍ أو سنتين، ولن نعود نتذكر مَن أنتَ ومَن كنتَ؟ وسنرى عند لقائك مرة أخرى ما إذا كان علينا أداء حقوقك أم لا، وإن كان ينبغي علينا معاملتك بالحب القديم نفسه أم لا؟

هل رأى أحد مثل هذا التعامل في العلاقات الدنيوية؟ بل لو تعامَل أحدٌ هكذا لعَدَّه الناس مجنونًا.

ولكن إذا كان مثل هذا الأمر يتعلق بالله الذي هو رب العالمين والذي هو مربٍّ لنا ويعطينا كل شيء، والذي هو الرحمن والرحيم الذي يقول لنا أن نؤمن به إيمانًا كاملا، ويوصينا بعدم قطع علاقة القرب والمحبة معه، ويقول: أطيعوا أوامري، إذ إنني أحبكم أكثر من أي حبيبٍ ولِيَ الحقّ بأن أُحَبّ، ويقول: اذكروا ذكرياتي، فهل يليق بنا أن نقول له ﷻ: اللهم إننا ممتنون لك بأنك وفقتنا لنمرّ من خلال أيام معدودات لذكرك وعباداتك وصيامك، أما الآن فقد انتهت هذه الأيام وكأننا أخذنا عطلة، فلا نعرف الآن هذا الرب ولا نتذكر هذا الإله، بل سنودعك من هذه الجمعة. وبعد هذا الوداع سننساك نهائيًا لمدة سنة كاملة، وسنحاول أن نتذكرك من خلال العبادات والأعمال الصالحة عندما يحل رمضان بعد سنة كاملة، وسنسعى بشرط الصحة والحياة لأداء حقك كيفما استطعنا، فإن لم نستطع القيام بالعبادة أو بالأعمال الحسنة في شهر رمضان كله فستأتي جمعة الوداع في آخره حيث نجتمع ونؤدي حقّك، وهكذا سنردّ على ربوبيتك وعلى مننك. فلو فكَّر أحد على هذا النحو أو قال بذلك لوصَفَه الناس بالجنون، ولكن الحقيقة أن بعض الناس يفكرون هكذا ويظهر ذلك من خلال عملهم وإن لم يصرحوا به باللسان. يتبين ذلك من خلال حضور الناس في أيام الجمعة القادمة بعد رمضان. فإن كان الأمر كذلك فإنه جهلٌ، وعدم إلمام بأدنى علوم الدين، وعدم إيمان بالله تعالى. لا يمكن أن يكون هذا هو تفكير المؤمن، فإنه أسمى من هذه الأمور، إذ إنه يواصل القيام بالأعمال الصالحة التي أمره الله تعالى بها، وإنه يكون مفعمًا بمشاعر حمد الله وشكره، وإنه يمرّ من شهر رمضان نيلاً لمرضاة الله تعالى، ثم عندما يودّع رمضان عاملا بأوامر الله تعالى يقول: نفارق رمضان بقلب مثقل ولكننا سنجعل ذكريات أيامه حيّة في قلوبنا، وسنتذاكر فيما بيننا تلك الأمور الجميلة والحسنة التي تعلمناها في رمضان، وهذا الاهتمامُ بالعبادات الذي نشأ فينا خلال رمضان سنجعله حيًّا على الدوام، ولن تتوقف أقدامنا من المضي قدما في الحصول على قربك. لقد رأينا مشاهد عجيبة لحبك لنا، إذ كلما سعينا أن نأتيك مشيًا أتيتَنا هرولةً بحسب وعدك، فأنى لنا أن نجعل ذكريات قراباتِنا الدنيوية حيّةً وننسى ذكرَ أكبر المحبين وننسى أياديه ومِنَنَه!

إن لمنن الله وإحسانه طرق عجيبة، ما أعظمه من إحسان من الله تعالى أنه بعد سبعة أيام من جمعة الوداع أتاح لنا فرصة لإحياء ذكريات مررنا بها يوم جمعة الوداع وهيأ لنا مناسبة لنتذاكر تلك الذكريات الجميلة ولا ننساها. لا شك أنه حدد فترة سنة كاملة لانتظار رمضان القادم ولكنه لم يحرمنا من إظهار حبّه لنا ومن مننه علينا، بل أتاح لنا أسبوعيًا -بتحديده يومَ الجمعة- فرصة الحصول على تلك البركات المنوطة بجمعة الوداع.

لقد قال النبي ﷺ: في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه، وهي ساعة قليلة. وقدرُ هذه الساعة أو هذه اللحظة في أيام الجمعة الأخرى كقدرِها في الجمعة الأخيرة من رمضان. فإننا لا نبتعد عن ساعات قرب الله تعالى بعد هذا اليوم، بل ستتاح لنا هذه الفرصة مرة أخرى بعد سبعة أيام. وإن كان أحد يودّع هذه الحسنات وهذه الساعات فليس بمؤمن. إذ إن المؤمن الحقيقي لا يودع الحسنات أبدًا، ولا يبتعد عن الله تعالى أبدًا بل يسعى دومًا لتحري سبلاً يتذكر بها الحسنات ووسائل للبحث عن طرقٍ لنيل قرب الله تعالى. إن سبل الوصول إلى قرب الله تعالى ليست بمحدودة بل كل حسنة توصل إلى الله. وعليه فإن المؤمن يسعى للبحث عن كل سبيل مؤدية إلى الله، ولا يقتصر على الجمعة ليظنّ أنه عند حلول يوم الجمعة ستتوفر له أسباب للقاء مع الله، كلا، ليس الأمر كذلك بل قد وضّح لنا النبي ﷺ طريق الوصال إلى الله تعالى ونيل رضاه سريعا فقال: الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ.

باختصار، لقد هيأ الله لنا وسيلة للتقرب إليه خمس مرات يوميا، وقد قال ﷺ بأنه إذا بقيتم على علاقة مع الله تعالى بواسطة الصلوات خمس مرات يوميا فستنالون نصيبا من مغفرته ورحمته بشرط ألا ترتكبوا الذنوب عمدا ووقاحة. فعليكم أن تحضروا وتستفيدوا من الساعة التي هي ساعة قبول الدعاء وتجتنبوا السيئات وتتقدموا في سبيل الحسنات. وإذا استمررتم في الحسنات التي تعودتم عليها في شهر رمضان واجتنبتم السيئات كما فعلتم في رمضان، فلن تستحقوا رحمة الله ومغفرته وتنجوا من النار في هذا الشهر فقط، بل ستنالون كل ذلك على مدار العام كله. فعلى كل واحد منكم أن يعقد عزما أن هذه الجمعة ستكون سببا لتوجيهه إلى الحفاظ على الصلوات وإلى حضور كل جمعة في المستقبل، فيسعى جاهدا لمواصلة الحسنات- التي اعتاد عليها في رمضان الحالي- إلى رمضان في العام المقبل. فعلينا جميعا أن نتعهد بأننا سنواظب في المستقبل أيضا على الحسنات والعبادات التي تعلّمناها في هذا الشهر، حتى نكون دائما في حالة التمرين والتدريب لاستقبال رمضان المقبل ولنكون قد اجتزنا هذه المرحلة قبل حلول شهر رمضان المقبل، ثم نحدد لأنفسنا أهدافا جديدة للخروج من رمضان المقبل بنجاح ونتقدم في الحسنات وننال قرب الله ومعرفته أكثر من ذي قبل. هناك كثير منا الذين يجب عليهم أن يجتازوا مراحل كثيرة لقرب الله تعالى، إذ لا يمكننا القول بأننا قد اجتزنا هذه المراحل كلها. ولو ظللنا ننتظر رمضان فقط لإنجاز هذه المهمة فلعل أعمارنا تنقضي في هذا السبيل دون أن نحقق أهدافنا. بل سنبقى في المقام نفسه بعد مرور عام كامل أمضيناه دون عمل. الخطب التي ألقيتها منذ بداية شهر رمضان هذا العام ذكرتُ فيها أوامر الله تعالى عن التقوى والدعاء والعمل بأحكام الله التي أهمها عبادة الله- وهي الهدف الحقيقي من حياتنا- وأداء حقوق

الآخرين وضرب أمثلة عليا من الأخلاق الفاضلة وما شابهها. وبعد كل خطبة تصلني رسائل كثيرة يقول أصحابها بأن الخطبة كانت سببا لتذكيرنا بالموضوع وفهمناه بشكل أفضل من خلال مقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام.

أقول: صحيح أنكم فهمتم هذه الأمور بشكل أفضل ولكنها لن تفيدكم فائدة حقيقية ما لم تجعلوها جزءا من حياتكم لا يتجزأ. لقد ذكرتُ ببيان الأحاديث أن لكل جمعة أهمية خاصة، وهذه الأهمية ليست مرتبطة برمضان ولا بجمعة الوداع بل لن تتحقق أهمية رمضان وفائدته إلا إذا التزمنا بأداء صلاة الجمعة والصلوات الخمسة باستمرار. لقد جاء رمضان ليوجِّهنا إلى أن الاهتمام والرغبة في أداء الصلوات الخمس جماعةً وحضور الجمعة وكسب الحسنات الأخرى التي نشأت في قلوبنا يجب ألا تنتهي مع نهاية رمضان، بل ينبغي أن تحافظوا عليها إلى رمضان المقبل. وهذا ما بيّنه الله تعالى في الآيات التي تلوتها في مستهل الخطبة وبيّن فيها أهمية الجمعة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. إذًا، فقد وجّه الله تعالى في هذه الآيات إلى حضور الجمعة بالتزام، فقال أنه إذا سمعتم الأذان للجمعة وعلمتُم أنه قد حان وقت صلاة الجمعة – أما في هذه الأيام فيكون الوقت للجمعة محددا ويعرفه الجميع– عليكم أن تتركوا مشاغلكم كلها وتحضروا الجمعة. والمعلوم أن الخطبة أيضا جزء من الصلاة لذا يجب ألا تتكاسلوا في حضور الخطبة ولا تفكروا بأننا سنشترك في الصلاة وهذا يكفي. بل يجب أن تسعوا جاهدين لتحضروا الخطبة أيضا. وبالمناسبة أقول، وهو قول مهم جدا: إن الله تعالى هيأ لنا قناةً فضائية MTA في هذا العصر– وإن ميقات الجمعة في أوروبا وفي بعض البلاد الأفريقية هو هو– فما دامت هذه الوسيلة متاحة فيجب أن تسمعوا خطبة خليفة الوقت حتما. إنها منّة الله العظيمة علينا أنه عزّ وجلّ قد خرط الجماعة الإسلامية الأحمدية في سلك الوحدة بواسطة هذه الوسيلة. وإذا كان هناك اختلاف في موعد الخطبة في بعض البلاد فيجب على الأحمديين الساكنين في تلك البلاد أيضا أن يسمعوا الخطبة، ولو سمعوها مسجلّة أي عندما يعاد بثُّها. ويجب على الخطباء أو المبشرين والدعاة الذين يلقون الخطبة في جماعتهم المحلية أن يأخذوا من خطبتي مقتبسات مفصلة ويقرأوها على أفراد الجماعة المحلية في خطبهم في اليوم نفسه أو في اليوم التالي أو في الأسبوع التالي. أما في منطقة أقصى الغرب فعندما تُلقى الخطبة هنا يكون الوقت عندهم مبكرا فيسمعونها في الصباح الباكر، وبالتالي يمكنهم أن يذكروا في خطبتهم ما قلتُه في خطبتي. وفي بلاد الشرق يكون النهار قد مضى إلى ذلك الحين ويكون الوقت عندهم مساء أو متأخرا عن ذلك أيضا فعليهم أن يذكروا تلك الأمور على الحضور في الجمعة التالية. هذه وسيلة عظيمة لخلق الوحدة في الجماعة. من المعلوم أن لعصر المسيح الموعود علاقة خاصة مع الجمعة، وقد جعل الله خطبة خليفة الوقت جزءا من تلك العلاقة بواسطة هذا الاختراع (اختراع القنوات الفضائية).

ثم بيّن الله تعالى في الآية الثانية أنه إذا كانت لكم أمور ومشاغل دنيوية فيمكنكم أن تنجزوها قبل الجمعة أو بعدها. وإذا تركتموها في وقت الجمعة بوجه خاص وحضرتم الجمعة فسترثون أفضال الله تعالى وبركاته في أموركم الدنيوية أيضا. إذًا، إن عدم حضور المرء الجمعةَ واضعا في الحسبان أنه لو فعل ذلك لتضررت أموره الدنيوية ليس خطأ فقط بل يعود عليه بضرر. إن جعْل أيّ عمل مزدهرا ومبارَكا فيه إنما هو فعل الله تعالى لذا عليكم أن تتذكروا أنكم لو لم تطيعوا الله فلن تُبارَك أعمالُكم وإذا أطعتموه ستكون البركة في نصيبكم. ثم يقول الله تعالى بأنه يجب ألا تمنعكم تجاراتكم ومشاغلكم الدنيوية من حضور الجمعة، علما أن ظاهرة عدم حضور الجمعة للأسباب المذكورة ملحوظة في العصر الراهن بوجه خاص. وكما ذكرتُ قبل قليل أن لهذا الأمر علاقة خاصة بزمن المسيح الموعود. لذا يجب أن تنتبهوا جيدا أن تجاراتكم في العصر الحاضر لم تعُد مقصورة على نطاق محلي فقط كما كانت في الماضي حين كانت القوافل التجارية تسافر وما تأتي به من البضائع كانت لها صبغة محلية مقصورة على مدينة واحدة أحيانا. لم تعد تلك التجارات محلية بل هي تشغلكم أكثر لكونها أصبحت عالمية. وكذلك ألعابكم وأشغالكم المادية لم تعد محدودة في وقت ما- أي قد رُفعت حدود الزمن- لكونها أصبحت عالمية، ففيها يجب عليكم أو على كل مؤمن أن يراعي أهمية الجمعة في كل حال. لأن كبرى أولويات المؤمن نيلُ رضوان الله ﷻ وينبغي أن يكون كذلك. كان صحابة النبي ﷺ ببركة قوته القدسية قد تطهَّروا كاملاً وكانوا يؤثرون رضا الله ﷻ على كل شيء. لذا لا يمكن أن نتصور أنهم كانوا يتركون الجمعة بسبب تجاراتهم وألعابهم. ثم كان يمكن تقديم أوقات التجارة واللعب محليا بحسب أوقات الجمعة. لذا فإن ما ورد في هذه السورة يرسم صورة عصرنا هذا، أي عصر المسيح الموعود عليه السلام حيث كانت الدنيا ستؤْثَر على الدين. ويكون الناس مشغولين في التجارة واللعب على مدى أربع وعشرين ساعة، وتكون المسافات قصيرة، حيث يكون اللعب واللهو الذي يجري في كل بلد متوفرا لكل واحد جالسا في البيت عبر وسائل الاتصال كل حين. يقول الله ﷻ: إذا حافظتم على الاتجاه الصحيح لأولوياتكم فسوف ترثون أفضال الله. فمن المؤكد أن ما عند الله أفضل بكثير من التجارة واللهو وأن الله هو رازق كل أنواع الرزق أيضا. فمنه وحده يأتي كل رزق، وهو وحده رزاق. فإذا حافظتم على جُمَعكم مطيعين له، فسوف يبارك في أرزاقكم المادية أيضا.

لذا يجب أن نضع أهمية الجمعة في الحسبان دوما، لا يجوز لنا نحن الذين آمنّا بالمسيح الموعود عليه السلام أن نكتفي بأي حال بأداء الجمعة في رمضان فقط، أو نكتفي بجمعة الوداع فقط. ولتسليط الضوء أكثر على أهمية الجمعة أقدم لكم بعض الأحاديث الأخرى أيضا، فقد قال النبي ﷺ موضحا أهمية الجمعة وبركاتها إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكةُ يكتبون مَن يأتي إلى المسجد أولا وبحسب ذلك يظلون يكتبون أسماء القادمين إلى المسجد في قائمة بالترتيب، حتى إذا جلس الإمام بعد إلقاء الخطبة، يطوون سجلاتهم.

فالذين يحضرون المسجد في الوقت الأخير بسبب مشاغلهم المادية يُعدّون الأواخر في هذه القائمة، ومعلوم أن للأواخر ثوابا قليلا جدا، فقد ذُكر هذا الثواب في بعض المواضع أنه يساوي ثواب من ضحَّى ببيضة دجاجة أما

الذي يأتي أولا فينال ثواب من ضحى بجمل. فالهدف من بيان هذه الأمثلة أن لا تحسبوا الجلوس في المسجد انتظارا للصلاة مضيعة للوقت، كلا بل هذا الانتظار يجعل الإنسان مستحقا للثواب، ويميزه عن الذين يأتون متأخرين. إذ إن الذين يأتون المسجد أولا يذكرون الله، وهذا العمل يقرِّبهم إلى الله حتما. فقد بيَّن النبي ﷺ أهمية ذلك في موضع فقال سيجلس الناس عند الله يوم القيامة بحسب حضورهم للجمعة أي الأول والثاني والثالث والرابع، وقال الراوي إن الرابع أيضا ليس بعيدا كثيرا عن الله. ثم قال النبي ﷺ في موضع احضُروا الجمعة واجلسوا قريبا من الإمام، فالذي يتخلف عن الجمعة يبتعد عن الجنة تدريجا مع أنه يكون من أهل الجنة.

فكل هذه الأحاديث تفيد أن الجمعة مهمة، بغض النظر أنها كانت في رمضان أو كانت الجمعة الأخيرة من رمضان أو كانت في أي شهر آخر من السنة. إنما الابتعاد عن الجنة يعني أن الإنسان لتقاعسه عن حضور الجمعة وعدم اهتمامه بها، يَحرم نفسه من الجنة رغم إحرازه حسنات أخرى، أو يُبعد نفسه عن الله كثيرا. ويغيب عن الجمعة لعدم اهتمامه بها، فعن ذلك قال النبي ﷺ في موضع آخر إنذارا: مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ. فالذين يتهاونون بالجمعة لهم إنذار كبير. فالطبع على القلب يعني أنهم لا يوفَّقون للحسنات ولا يكسبون حب الله ﷻ. فالواضح من كل حديث أن كل جمعة مهمة جدا، وعلينا أن نبذل قصارى جهودنا لحضور الجمعة، لكن البعض معذورون وقد رخص الله للبعض بنفسه، فهو ﷻ ليس ظالما. فالذين استثناهم النبي ﷺ عن حضور الجمعة قال عنهم، إن العبد والمرأة والمريض والطفل في عداد المعذورين. فحضور الجمعة ليس واجبا عليهم، وهم مستثنَون. من هنا قد تبين للنساء اللاتي يستفسرنني في الرسائل ويشتكين أحيانا أن المسئولين يمنعون النساء اللواتي معهن أولادهن من حضور الجمعة لأنهم يزعجون بضجيجهم، فأقول: لقد استثنى النبي ﷺ بنفسه هؤلاء النساء والأطفال. لذا من الأفضل للنساء اللاتي عندهن أطفال صغار أن لا يأتين للجمعة إن لم يكن هناك مكان مخصص منفصل لهن، كما أن الجمعة أصلا لم تُكتب على النساء، بل هي واجبة على الرجال في كل حال.

لقد سُئل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مرة عن فرضية الجمعة على النساء، فقال عليه السلام: الأمر ثابت وواضح من السُنّة والحديث، فماذا عسى أن نفسّره أكثر من ذلك؟ ما دام النبي ﷺ قد استثنى النساء منها فبقي الأمر (*أي فرضية الجمعة*) للرجال فقط. (البدر، العدد: ١١/٩/١٩٠٣م، ص ٣٣٦)

فالجمعة إذن واجبة على الرجال في كل حال. وعليهم أن يحضروا الجمعة إن لم يكونوا مرضى أو لم يكن لهم عذر.

لقد بيَّن لنا المسيح الموعود عليه السلام أهمية الجمعة، ونظرا لهذه الأهمية أراد في ١٨٩٥-١٨٩٦ أن يطلب من الحكومة في الهند أن تسمح للمسلمين برخصة ساعتين في المكاتب الحكومية لأداء الجمعة. وبدأ أخذ التواقيع من المسلمين. ولكن في ذلك الوقت نشر المولوي محمد حسين إعلانا يقول هذا العمل جيدٌ ولكن يجب ألا يقوم به السيد مرزا، سنُنجزه نحن بأنفسنا. قال المسيح الموعود عليه السلام: لا نتوق إلى التظاهر والتفاخر، فلْتعمل أنت. وأوقفَ

عليه السلام إجراءاته، ولكن لم يقم المولوي محمد حسين ولا غيره من علماء المسلمين بأي نشاط في هذا المجال وبقي الأمر معلَّقا.

على كل، في مناسبة أخرى أرسل المسيح الموعود عليه السلام مذكِّرة إلى حاكم الهند "اللَوْرد كرزن" ذكر فيها مزايا سلطنته وشكره على تأديته حقوق المسلمين وشكره على إعادته إلى المسلمين المسجدَ الملكي في لاهور ومسجدا آخر كان فرعُ السكة الحديدية مسيطرا عليه، وعلى إحساناته الكبيرة على المسلمين. ثم كتب عليه السلام أيضا في هذه المذكرة:

"ولكن بقيت هناك أمنية واحدة ويأمل المسلمون أن تتحقق هي أيضا على يد مَن تحقّقت على يده الأمنيات المذكورة، وتلك الأمنية هي أن يوم الجمعة عيد إسلامي عظيم، وقد حدّد القرآن الكريم هذا اليوم يوم عطلة بوجه خاص، وهناك سورة معينة في القرآن الكريم اسمها سورة الجمعة، وقد أُمر فيها أنه إذا نُودي للجمعة فاتركوا الأشغال الدنيوية كلها واجتمعوا في المساجد وصلّوا الجمعة بكل شروطها، ومن لم يفعل ذلك كان مذنبا جدا، وأوشك أن يخرج من الإسلام. وبقدر ما جاء فيه التأكيد في القرآن الكريم على صلاة الجمعة وسماع الخطبة لم يؤكَّد بالقدر نفسه على صلاة العيد. لذلك كان يوم الجمعة عطلة عند المسلمين منذ فجر الإسلام. وفي هذه الدولة أيضا كانت العطلة يوم الجمعة منذ ٨٠٠ عام أي ما بقيت فيها سلطنة الإسلام."

ثم قال عليه السلام: "في هذا البلد يسكن ثلاثة أقوام، الهندوس، والنصارى والمسلمون. لقد أعطت الحكومة الهندوس والمسيحيين يوما للاحتفال بشعائرهم الدينية وهو يوم الأحد، فيؤدون شعائرهم الدينية في ذلك اليوم الذي تكون فيه عطلة عامة. ولكن الفئة الثالثة أي المسلمين محرومون من عيدهم أي يوم الجمعة."

ثم قال عليه السلام بعد ذلك: "وإذا أُسديت إلى المسلمين هذه المنة أيضا بالإضافة إلى المنن السابقة، أي إذا جُعل يوم الجمعة عطلة عامة لكانت هذه المنة جديرة بالكتابة بماء الذهب. (هذا هو الألم الذي كان عليه السلام يكنّه للمسلمين ولإقامة شعائر الإسلام وللتوجيه إلى العبادة.) ثم يقول عليه السلام: فإذا جعلت الحكومة يوم الجمعة عطلة للمسلمين تذكارا لهذا اليوم -وإن لم يكن ذلك فلتكن عطلة نصف يوم- فلا أظن أن هناك إجراء آخر أكثر إسعادًا لقلوب العامة." (الحكم، العدد: ١٩٠٣/١/٢٤م، ص٥-٦)

يتهم المسلمون أو العلماء المزعومون المسيحَ الموعود عليه السلام أنه غرسة الإنجليز، ولكن الذي وجّه الإنجليز إلى تأدية حقوق المسلمين الدينية هو المسيح الموعود عليه السلام وحده، ولم يُوفَّق زعيمٌ مسلم آخر لذلك. وكانت هذه مهمة المسيح الموعود عليه السلام أن يوضّح للعالم أهمية الإسلام في هذا الزمن ويُرسيَ تعليم الإسلام الحقيقي، وكان سيتم هذا الأمر بواسطته عليه السلام لأن الله تعالى كان قد وكّل إليه هذه المهمة. فنحن الذين ندّعي الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام يجب أن تظهر حقيقةُ تعليم الإسلام من كل قول وفعل لنا. ولا بد أن نتعهد أن نجعل البركات التي جاء بها رمضانُ جزءا من حياتنا، إن شاء الله. ولن نصبح نموذجَ تعليمِ الإسلام لشهر واحد فقط بل سنوفي دوما بالوعد الذي قطعناه مع إمام هذا الزمان.

والآن أقدّم بعض المقتبسات للمسيح الموعود عليه السلام التي تبيّن أن هذا زمنُ المسيح الموعود عليه السلام وله علاقة خاصة بالجمعة، والتي توجّهنا إلى مسئولياتنا، فيقول عليه السلام في موضع:

"النعمة التي أتمها الله تعالى إنما هي هذا الدين الذي سماه الإسلام. ويوم الجمعة الذي تمت فيه النعمة أيضا نعمة بحد ذاتها. وفي ذلك إشارة إلى أن هذه النعمة ستتم بصورة: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" وتكون جمعة عظيمة الشأن. فقد حلّت تلك الجمعة لأن الله تعالى أناط تلك الجمعة بالمسيح الموعود عليه السلام.

ثم يقول عليه السلام موجّهًا إيانا:

"أقول صدقا وحقا، لقد هيأ الله تعالى هذه الفرصة المواتية لسعداء الحظ. فمباركون أولئك الذين يغتنمونها كما ينبغي. فيا من أنشأتم علاقتكم بي، لا تغترّوا ظانّين أنكم قد نلتم كل ما كنتم نائلين. صحيح أنكم أقرب إلى السعادة من الذين أسخطوا الله تعالى بشدة إنكارهم واستخفافهم. صحيح أنكم أحسنتم الظن وبذلتم قصارى جهدكم لإنقاذ أنفسكم من غضب الله، ولكن الواقع أنكم اقتربْتم من النبع الذي فجَّره الله تعالى للحياة الأبدية، ولكن بقي أن تشربوا منه. فاسألوا الله تعالى فضلَه حتى يرويكم من هذا النبع، إذ لا يتم شيء بدون فضل الله سبحانه وتعالى. أعلم يقينا أن الذي يشرب من هذا النبع لن يهلك، لأن ماءه يهب الحياة وينقذ من الهلاك ويحمي من هجمات الشيطان. ولكن ما السبيل للارتواء من هذا النبع؟ إنما سبيله أن تؤدّوا الحقَّينِ اللذَين أوجبهما الله عليكم أحسن أداء، أحدهما حق الله وثانيهما حق الخَلق."

فنعاهد جميعُنا اليوم أن نصبح ممن يحقّقون عهد بيعتهم، وأن نسعى لأداء حق الله سبحانه وتعالى وحق خلقه كما يُتوقّع من المؤمن وكما أمر به الله تعالى وكما بيّنه المسيحُ الموعود عليه السلام، وسنجعل بركات رمضان جزْءَ حياتِنا، إن شاء الله. وفّقنا الله تعالى لذلك، (آمين).